اكفال الظلام

من كتابة:
ايمان القيسي

من المكان الذي انظر فيه الى الحياة الان ،يتبادر لذهني سؤال ,هل كان الامر صعبا على عائلتي ،الهذه الدرجة لم يكن وجودي مهما ،اسفة لا يمكنكم الرؤية لكن ساحاول وصف ما اراه ،امهات و ليس منجبات ،ينتظرن خروج اطفالهن للدنيا ،سعادتهم تستطيع جعل الحياة تضيء ،حياتي ايضا اضاءت رغم غياب "العائلة" ،اضاءت بنارها التي لم تطفأ بعدها يوما ،هل كان الامر صعبا ، ما الصعب في السعادة لهذه الدرجة ،اعتدت القدوم و زيارة العيادات النسائية محاولة ايجاد سبب مقنع لتخليهم عني ،ام اني كنت مجرد خطأ،رايت هنا قاصرات انزلن دما بدل الدموع للحفاظ على ابنائهم ،سمعت ترجيات كتيرة ،هل كان الامر صعبا....

صراخ سارة ايقظني من هذه الافكار التي تزورني طوال الوقت،التفت للكرسي الخلفي للسيارة ،رأيت طفلة ،كان كل ما فيها ينادي بالبراءة و يمنحها عنوانا،شكل وجهها البيضاوي المشبع بالسمرة، ملامح مرسومة بدقة ،و عينان بنيتان واسعتان ، ابتسامتها التي تلت صراخها في محاولة لافزاعي ،منحتني هدوءا يفتقده قلبي ،تلا هذه اللحظات صوت رنين هاتفي ،لمحت اسم عائشة على الشاشة ،اجبتها مخبرة اياها ان سارة ستكون عندها بعد توانى ،اتناء قيادتي غصت في افكاري للمرة التانية بعد المئة هذا الصباح،نظرت للطفلة و انا اتذكر و اتساءل مرة اخرى عن مدى صعوبة الاهتمام ،وصلت قدمت سارة لعائشة ،نظراتي ملئت اسى بعد ان رأيت عيناها و دمعتها المكبوحة ،كنت طوال هذا الصباح احاول نسيان تاريخ اليوم ،تسللت دمعة على خدي بدورها لكن يدي مسحتها قبل ان استوعب ،توجهنا للجلوس و نحن نتحدث بعقل غائب

''''. '''' من نحن ''''

لدى جميع الاصدقاء المقربين،لكننا نتميز عن البقية ، اتذكرنا نحن التلات و عائشة الرابعة ،انا ،سند ، تم نديم,كنت اما قبل ان اكون طفلة،لسنا سوى اطفال انضجتهم الحياة ،كان سند اكبرنا و الاكتر جنونا ،و التقينا نديم كجتة مرمية تحيط بها الكلاب ،تم عائشة عدوة طفولتي ،جمعتنا لعنة الحياة ،وصفتنا الدنيا باطفال الشارع و اطفال المشاكل،لم نعلم يوما من نحن ،و طبعا لم نكن اربعة فقط ،لكن نحن فقط من نجونا ،لم يرحمنا احد لكننا عشنا ،كان لقائنا كالاصطدام ،لا يمكن التخطيط له ولا تعلم نتائجه لكنها كانت سبيل نجاتنا الوحيد ،اتسائل ما ان كان الفرد مضطرا لعيش المعانات ،اعني اين "و عاشوا في سعادة"الم يكن هذا المنهج الذي تمنينا ان نبني عليه حياتنا،بعد كل هذه المعانات هل ساصل للجزء الاخير لانهي قصتي بهذه الجملة ،و هل يمكن ان اعلم اقله من سيعيش معي في السعادة ،اعني اعلم اني لن اجيد اميرا اذن فمن سيعيش معي في تلك السعادة ان وجدت،لطالما المني قلبي حين التفكير في السعادة التي لطالما تمنيت ،لكني دائما اجد من يوقظني صارخا "وهل تستحقين هذه السعادة حتى،اوه سؤال اخر ،هل الدموع حارقة ،لاني اقسم انها تحرق خداي ،بل اقسم انه احيانا تتوارى امامي نار تشتعل في وسادتي بعد احدى الليالي المؤلمة،اتذكر احد قصص التي رويت لي في طفولتي حيت اخبرت ان طيبة القلب تستطيع انتشال الشر من العالم ،هلا توقفتم عن الكذب رجاء ،افكار الاطفال لا تمحى ،و الام الكبار لا تمحى ،لذا توقفوا عن جعلنا نتوقع حياة الاميرات و السعادة الابدية،فالسعادة هي الشعور الوحيد الذي لم استطع وصفه ،ليس لصعوبة وصفه فقط بل حتى لصعوبة ايجاد سعادة صافية او بالاحرى تلك السعادة التي يتوقعها الطفل داخلي،و اي طفل هذا ،طفل دفن قبل ولادته

"ذاكرة لا تمحى"

عاد سند تلك الليلة ليجد عائشة في حضني و ليطلق ضحكة ارتفعت في انحاء المدينة ساخرا من عائشة و هو يكرر"الم تصبحي اما ام انك تعبت ،هيا هيا انهضي" ابتسمت بالم و هي ترمي بالوسادة ناحيته دون ان تصيبه مما اضحك سارة التي توجهت نحو سند لتقبله ،نظرنا جميعا نحو الباب عند دخول نديم ،الذي القى سلامه و توجه للنوم،تبعته سارة التي امسكت بقدمه و هي تضحك ،قدم لها بعض الحلوى و هو يحاول الابتسام لكن دون جدوى، ناداني لاحمل الطفلة و توجه نحو غرفته

بدأ نديم ،بتغيير ملابسه ،تغيرت ملامحه عند وقوفه امام المرآة و هو يرى اتار العض في يده نظر في انحاء الغرفة و ملابسه المبعترة كافكاره كبح صرخته و رفع قميصه اكتر لتضهر اتار اسوء ،ذهب ليعد ما تبقى من المال و هو يتذكر حياته قبل التقائه باصدقائه ،سرت رعشة في جسمه ،طفل عائد من الموت ،لم يرحمه لا انس و لا حيوان ،امرأة واحدة رحمته و ذهبت هي ايضا،خبا المال بسرعة و توجه نحو اخوته

اجتمع الجميع نحو طاولة الافطار في ذلك الصباح ،لكن احدا لم يكمله،قاطعهم صوت الباب يفتح ،نظر بعضهم الى بعض كانهم يتاكدون من وجودهم جميعا ،دخل رجل ضخم البنية و خطوات مزعجة يصرخ مناديا سند ،حملت عائشة سارة ،و هربت لتخبئها ،امسكت نديم من يده لابعده عنهم ،

تقدم سند في محاولة لفتح حوار ،لكن سرعان ما نسي الرجل سبب قدومه عندما لمح سماح و هي تمسك يد نديم ،ناداها هي بدورها لكن تقدمت مع من كان ممسكا يديه ، كاد يلتهمها بعينيه الى ان صرخت

بالالم و هي تنتزع يديها بسبب ضغط نديم ،و اخيرا اطلق الرجل سبب قدومه

انسة سماح اسف لقدومي في هذا الوقت لكنكم تاخرتم على الدفع

صرخ سند في وجهه عند اقترابه منها قائلا"ابتعد و الى لن تخرج حيا اليوم"

-حقيقة انتم من ستخرجون اليوم

كانت هذه الجملة كاشارة لتطلق سماح سلاحها الانتوي :الدموع

اضعفته هذه الاخيرة ،تراجع في كلماته لوهلة و خرج قبل ان يموت حقا بعد ان شعر بيد نديم تقوده نحو الباب ليخرج كلاهما

و في الخارج اطلق نديم كلماته بعد ان لمح بقية اخوته يراقبونه من النافذة المكسورة ليستمعو اكتر

-اسمع لا تجعلني اؤذيك ،اردت مالك سادهب الان لاحضره ،لكن لا تقترب من هذا البيت مرة اخرى ،و لا من سماح خاصة و الا اقسم لك(قال و هو يقترب منه اكتر و عيناه تحمران اكتر)اني ساقتلك و ادفن اعضائك في حديقة منزلك دون ان يعلم احد ،لا تقترب من اخوتي تانية ،و لا تجعلني اطبق تحذيري .

صعد و في تواني توجه نحو غرفته،تذكر كيف كان يجب ان يكون ميتا منذ سنوات ،تذكر ان كل ما هو عليه فهو بفضلهم و ان لا غضبه و لا بكاؤه استطاعوا تغيير اي شيء في تلك الليلة ،توجه ليحاول الحصول على لقمة العيش ،لم يكن الامر سهلا يوما ،كتبت عليهم المعاناة ،البكاء

مر ذاك اليوم كما مر الكتير قبله ،لم يرتح اي منهم ،و طبعا كان نديم اكترهم ،استيقظت سارة اليوم مبكرا على غير عادتها بسبب رنين الهاتف الذي لم يتوقف،حملته و هي بالكاد تستطيع المشي تتعتر بين خطواتها ،ايقظت عائشة بقبلات متفرقة و نداء خافت و هي تقدم لها

الهاتف لتجيب ،و رغم ان هذه الاخيرة لا زالت تغوص وسط احلامها الا انها اجابت في تواني معدودة ،مما ازال التعب من عينيها ،كلمات كانت كافية لجعلها تبدا يومها بشهيق و بكاء "ساخد ابنتي و ستدفع تمنها و تمن هروبك" رمت الهاتف بعيدا و عانقت طفلتها راغبة في ابعادها عن هذا العالم الذي لم و لن يعطيها سوى الالم،توجهت نحو سماح التي لم تر النوم يدورها تلك الليلة بسبب نديم الذي لم يعد للمنزل تلك الليلة ،دخل سند ليجد الفتيات مجتمعات الجسد و غائبات العقل ،رفع سارة و هو يغني و ينادي الجميع لاجتماع طارئ هذا الصباح ،دون خلو الجو من ضحكه و اصواته،اجتمعوا جميعا ليخبرهم سند عن عمله الجديد ،الذي ازل غيمة الحزن قليلا ،بدا يصف المطعم الذي سيعمل فيه مخبرا اياهم عن اضوائه التي لا تنطفئ و عن الوان البهجة الطاغية هناك،عن اصناف الاكلات التي تقدم هناك،لم يهدأ ذاك الصباح الى ان اوقفه صوت الباب الذي اعلن عن وصول ضيف ما ،فتح الباب ليتقدم احد اصدقائه الذي توسط له في هذا العمل ،و ليتوجها معا للحصول على لقمة عيش ،توجهت عائشة لتاخد سارة لمدرستها ،و لتحاول نسيان بداية يومها ،اما سماح فقد كانت تتصل بنديم بين التانية و الاخرى مئة مرة ،لم ترتح الى بعد ان سمعت صوته يناديها لتفتح الباب ،و قبل ان يدخل كانت قد اطلقت العنان لصراخها و اعصابها و هي تلومه على تأخره الذي كاد يجعلها تجن هذه الليلة ,رغم كون نديم اقساهم الى انه كان دائما ما يلجأ لسماح ،كانت ملجأه ،كانت اخته الكبرى التي حمته ،و التي ضحت من اجله ،من اجلهم جميعا ،لم يتوقف عقلها يوما عن التفكير في طرق اشد لحمايتهم ،و ضع نديم يده على الباب في انتظار لحظة الهدوء التي بدى انها لن تاتي يوما ،لكن سرعان ما بدات سماح بالشعور بالم حاد جعلها تتوقف و تطلب منه ان يغير ملابسه و يرتاح قليلا ،توجهت لتقضي اشغالها اليومية متجاهلة الامها الحادة التي هدأت بعد فترة ،دخل نديم لغرفته و سرعان ما لاحظ غياب سند و هدوء المنزل ،ارتمى فوق فراشه وسرعان ما غط في نوم عميق ،لم يستيقظ الى على صرخة سند و حماسه ليخبره عن يومه ،اجتمع الجميع على تلك الطاولة التي سمعت

قصصهم ،سمعت بكائهم و ضحكهم ،تعرف سر كل واحد منهم ،كان الجميع سعيدا ما عدا عائشة التي لم تفكر سوى في طفلتها ،و في لحظات السهو ضغطت على السكين الذي كان بين يديها الى ان جرحت نفسها،بدات الطفلة بالبكاء خوفا من الدم،لكن دموعها لم تزد سوى الامر سوءا بالنسبة لعائشة ،بدات تتسائل متغاضية عن العالم باكمله ،اهده البراءة ستتحمل العيش في هذا المجتمع ،ان كانت نقط الدم قد ارعبتها ،كيف ستعيش الحياة التي يريدها لها والدها،لم يزدها الامر سوى اصرارا على تقديم حياتها فداء لطفلتها ،

تغيرت افكارها لمستقبلها في تلك الليلة،ارادت سعادة طفلتها لا غير ،ربما لم تنجب يوما ،لكن احساس الامومة يعيش داخل الطفلة طوال حياتها ،نهضت و هي لا تفكر سوى في الهروب لكن من ماذا؟طفولتها؟ عذابها؟مستقبلها؟ من ما ستهرب الان و هي التي لا ملجأ لها سوى اخوتها،شعرت بقوتها تخور او ربما هذه الاخيرة تهرب منها هي ايضا ،و لم تكن هذه الليلة مختلفة بل كانت اكتر الما،كان العالم يتسائل عن كيفية عيشهم ليوم اخر،فتعطيهم تحديا اكبر،ربما الدنيا عازمة على اذيتهم ،قررت ان تخبر سماح بمخاوفها رغم انها لم ترد اخافتها الى ان الامر اكبر من ان تتحمله لوحدها ،اوليس الاخوة سندا،قررت ابقاء الامر للغد و هو ما فعلته ،استيقظت في اليوم الموالي ،رمت نظرها نحو سارة النائمة بامان بالقرب منها،و توجهت نحو سماح التي كانت تعد الفطور ،رمت عائشة كلماتها:

_سماح ،ايمكن ان نتكلم؟

_حبيبتي الاكل اولا،ايقظي سارة ،جب ان تذهب لمدرستها

_سماح انا خائفة

و كم كانت سماح تكره هذه الكلمة ،كان الامر اقرب للمحرمات ،طلبت من عائشة ان تجلس،و تتحدث عن ما يؤلمها او يخيفها: هيا ،اريد ان اعرف الان مصدر خوفك

_في الواقع ،تلقيت اتصالا ،من...من والد سارة ،و قد اخبرني ان كلانا سيدفع التمن ،(ارتفع صوتها في تواني) لا بأس استطيع ان اعاني وحدي لا باس ان ادفع تمن اي ما كان يريدني ان ادفع تمنه ،لكن ارجوكم لا اريد لطفلتي ان تتاذى ،سماح اختي ،لن تتحمل نصف ما اعلم انها ستعيشه ان لم احمها ،ارجوك ساعديني

كان منظر عائشة و هي تترجى و تطلب الحماية لطفولة قبل ان تسلب ،منظرا مؤذيا للقلب ،منظرا يدعو الدموع للخروج للتعبير فالكلمات لا تستطيع الوصف بعد الان ،توجهت سماح نحوها بخطوات بطيئة ،لا تدري ما تفعل ،اي مصيبة هذه سيعيشون،اختبأ كلاهما في حضن بعضهما من اذية العالم التي لم ترغب في الانتهاء يوما

طلبت سماح من عائشة ان تترك الامر لها ،و ان لا تفكر كتيرا ،ليست واتقة من شيء اكتر من ما هي واتقة بشأن قدرتها على تقديم حياتها لحماية براءة تلك الطفلة،غيرت ملابسها في توان تكاد تكون معدودة تم تجاوزت الباب و هي غير جاهزة لما هو قادم ،لكن متى يكون الفرد جاهزا؟

خلال تواني كانت امام باب السجن تطلب الاذن للقاء شخص لم تكن يوما ترغب في التقاء اعينهما لولا عنف الظروف ،توجهت و نطقت بكلمات رغبت لو استطاعت قولها بشكل اشد

_ماذا تريد؟

سمع من خلف القضبان صوت ممزوج ببحة الغضب

_ماذا اريد احقا تسألين ،ما الذي تظنين اني افعله هنا ،لم ينتهي الامر و يوما ما ستكونين انت و اخوتك من حلوياتي

مرت امامها جميع اشكال التعديب و القتل التي تستطيع تطبيقها عليه من شنق و ذبح و قطع ،و انتهت بان تجيب

_هل انت جاد حتى ،لقد وضعناك

هنا و ان خرجت وحاولت ايذائنا سنعيدك ،لست بالقوة التي تظنها

علم ان تصلبه لن يفيد مع سماح ،فحاول اللعب على اوتار قلبها لحنا هو ادرى بكونه كذبا

كل ما اريده هو ابنتي ،اريد طفلتي،ارجوك اريد ان احس بالعائلة مرة _ اخرى

كما كان متوقعا ،لم تصدقه سماح و لو لتواني

لم تكن كلماته كافية و حتى لو رأته يذرف دما فلن تصدقه ،لم ستصدقه و هي التي لا زالت تضمد جروح اختها التي سببها هو ،و لم تعالج الندوب بعد،كيف ستصدقه و هي ادرى باذيته،نطقت بكلمات ذكرته بواقع يرفضه :

_اليس من المفترض على الاب حماية اطفاله ؟

و لم تزده هذه الكلمات سوى كرها و حقدا و لم تملأ قلبه سوى بمشاعر لو استطاعت الخروج لدمرت كل شيء امامها و نطق بخيبة مختبئة و سط الصراخ

_لم انجب يوما ،ليس لدي اطفال و لن املكهم يوما ،ليسا سوى خطة من مشاريع اكبر

اجابته بصوت اكتر حدة:

_ بل لديك اطفال ،شئت او ابيت،و ان لم تحمهم انت ،انا سافعل

كانت ترغب بالوصول لحل يرضي كلاهما ،لكن دون فائدة،فاضافة لفقدانه لقلبه منذ وقت طويل،لسبب لا يعلمه سواه ،انه يكره ابنتيه،عائشة و سارة،لم يعامل احداهما كابنة يوما ،و لم تحاول عائشة التعرف عليه كاب ،بل هربت وتركت كل شيء ورائها،لكن وجود سارة اضعفها ،لم ترد منها ان تعيش ما عاشته هي مع والدهما،اخدتها و اصبحت لها اما ،تحميها و تحافظ عليها ،صنع هؤلاء الاطفال عائلة ببعضهم البعض ،ربما رفضهم العالم ،لكنهم كانوا عالما لبعضهم البعض

عادت سماح و هي بالكاد تستطيع جر قدميها ،انهارت بالبكاء و هي تتذكر حالة عائشة في احدى الليالي ،الليلة التي فقدوا فيها جميعا جزءا من قلوبهم

لا تؤذوا امنا

كانت ليلة مليئة بالضحكات رغم اتار البؤس التي تظهر على كل شخص من الخمس حول الطاولة،كانت عائشة اسعدهم لانها و اخيرا اصبحت تملك اخوة ،اخوة حملتهم امها من الشارع في بيتها المتواضع ،يوما بعد يوم اجتمعوا جميعا،و بالكاد بدات تتقبل وجود طفلة اخرى بنفس عمرها في البيت،كانت هي و سماح اقرب للاعداء ،بسبب غيرة عائشة،قطع كلامهم من خلال صوت طرق على الباب ،يرتفع بين التانية و الاخرى ،ارتعب الاطفال،لم تحاول الام التفكير سوى في صغارها،تعرف هذه الطرقات جيدا ،و تعرف ما يأتي بعدها ،سمع صوت طفلة ،مزيج بين الخوف و الرغبة في المواجهة

_امي فاطمة ،ما الامر ،اهناك خطب ما ؟

سمع صوت صبي ما ،بنبرة غاضبة استدار صارخا

_ سماح ادخلي و اختبئي ،هيا جميعا ،ساخرج لارى ما الامر،خالتي ادخلي انت ايضا

كان نديم بطبعه الحاد الذي لم تغيره الايام ، خلال هذه اللحظات كانت السيدة تشعر باقتراب الخطر،انها فقط تعلم ،نهضت سماح لتخبئ الجميع اغلقت على عائشة باب الغرفة ،بينما سند استطاع

الانفلات و الوقوف قرب نديم ،فتح الباب بعنف جعلهم جميعا يصرخون ،كادت عائشة تجن بالبكاء و هي تنادي سماح لفتح الباب ،توجه رجل ضخم البنية برائحة السجائر و حالة السكر التي تعتريه يتمايل من مكان لاخر ،امسك فاطمة من شعرها و هو يغمغم بكلمات لا يفهمها سواه،بدأها يحركها ذهابا و ايابا و هي تترجاه ان يفلتها و تطلب من الاطفال الاختباء ،قفز سند ناحيته يضرب بيديه الصغيرتين ،اما نديم فقد امسك احدى الاخشاب التي كانت في كل مكان في المنزل و حاول ضربه لكن جسده الصغير لم يكن بالقوة الكافية ،بدأو جميعا يترجونه ان يتركها تذهب ،صرخ السكير قائلا

اعطني ابنتي و سأبتعد عنك ،اتركيها تجلب لنا الثراء ،الا _ تريدين الذهاب من هنا ،الم تتعبي

كان يتكلم و يحرك يديه في كل مكان دون ان يفلت شعر المسكينة ،استطاعت العائشة الهروب و توجهت نحوه و هي تصرخ"لا تؤذي امي" بدؤوا جميعا يحاولون ابعاده ،لكن بنيته الجسدية اكبر بكتير من ان يتحملوها ،و اخيرا تركها ترتمي ارضا ،ليس رحمة بها بل ليرتمي نحو عائشة ،نظر نحو الام المرمية ارضا الخائرة قواها،و هو يردد ان لم احصل على ما اريد منها فساتذوقها انا اولا،توجه بها نحو الغرفة التي اصبحت الان تتمنى لو لم تخرج منها ،اغلق الباب،سلب منها طفولتها تلك الليلة و كادت حياتها ان تسلب ،او ربما سلبت ،فقط روحها لم تغادر جسدها،صراخها الذي كان يسمع على طول الشارع هدا فجأة ،رماها كالجتة ،عيناها مفتوحاتان،و نقاط دم متناترة في انحاء الارضية ،توجه نحو امها التي لا تستطيع سوى تحريك عينيها و قلب لا يكاد ينبض ،نظر لها نظرة اشمئزاز و نطق :

_اهذا ما حاربتني لاجله لسنوات ،خذلك قلبك صحيح ؟ اين صحتك الان ،و قبل ان يتم كلامه سقطت عينيها على ابنتها ،و البقية يحاولون ايقاظها ،ما ان فتح الباب الى ان دخل الجيران ليلمحوا منظر طفلة اغتصبت طفولتها و ام حطم قلبها

اتى الاسعاف،و في تلك الليلة المشؤومة ،تركت الام اربعة اطفال لمواجهة الدنيا و حدهم،وصلوا جميعا للمشفى لكن احدا لم يجرأ على اخبارهم عن وفاة فاطمة ،ساعدهم الجيران ،تكلفوا بتنظيف المنزل و بعض مصاريف المشفى ،لم تستطع سماح الصبر اكتر ،كانت بحاجة لمن يطمئنها ،صرخت في وجه نديم و سند ليعرفا ما حصل للبقية ،حاولوا الدخول للغرفة المتواجدة بها فاطمة لكنهم لم يتلقوا سوى الرفض ،هزت رجفة قلب سماح لم تنسها بعدها يوما ،احست بالوحدة من جديد ،احست بخذلان العالم،و مرة اخرى شعرت باليد الاخيرة التي كانت تحملها تفلتها ،لم ينطق احد بكون فاطمة قد توفيت ،لكن ملامحهم و حركاتهم تكلمت ،جلست سماح ارضا واضعة قدميها بين يديها ،و اطلقت نظرها نحو الفراغ راجية ان يكون هذا كابوسا و ان يوقظها شخص ما بعد قليل،جلس سند وندیم في جانبيها و هما يحاولان تهدئتها وسط دموعهم،احس نديم بدوار يكاد يسقطه ارضا ،حاول النهوض و الابتعاد بدل السقوط امام اخوته،لكن ما ان ابتعد قليلا سقط مغميا عليه،كان بالكاد قد شفي ،و الان وجد ان احد المسامير قد اصابته بجرح ،و بسبب الصدأ،كان الجرح ساما ،و لحسن حظه كان من الاصل في المشفى،أُدخل احدى الغرف بدوره لخياطة الجرح ،عانقت سماح سند و بدأت تشعر بقواها تخور ،حملها سند حاول طلب النجدةو هو يشعر بتقل المسؤولية على كتفيه ،عانق اخته كانه يترجاها ان لا تتركه ،ادخل الجميع غرفا

داخل ذلك المشفى ،و جلس سند مزيلا قناع البسمة عن وجهه ،صرخ باعلى صوته ،و هو يرمي نظره نحو غرفة عائشة التي فكر انها لربما لن تستيقظ يوما ،بدأ يحدث نفسه كمن ذهب عقله،يتنقل بين غرف اخوته ،ليستقر امام غرفة سماح اخيرا ،و ضع يده على الباب ليحاول الدخول لكنه لم يتلقى سوى الرفض ،من الباب الذي ابى ان يفتح ،اسند جسده و اطلق العنان لكلماته لعلها تخرج المه معها"اختي اتعلمين ،جميعهم اخوتي لكن صلة الدم التي تجمع بيننا تجعل علاقتنا اقوى ،لقد كنت امانتي ،و لن اترك شيءا يؤذيك ،ارجوك يا طفلتي ،لا تتركيني وحدي ،وعدتك ان لا يظهربريق الدموع يوما في عينيك و خلفت ،ابتسم وسط دموعه محاولا كبحها"اسف حقا اسف ،لم استطع حمايك،لم استطع اعادة والدينا"امتزج صوته بالالم ،لتواني نسي ان البقية ليسوا اخوته حقا ،لم يشعر يوما بالوحدة بينهم ،تذكر نديم و كيف حماهم جميعا ،تذكر عائشة و كيف راها ،لم يستطع السيطرة على دموعه التي تسللت فوق خديه تعبر عن اذية العالم لهذا الطفل،اذية لم يكن ليتحملها احد ،ارتفع صوت ضحكه ،كان يشعر بانه سيجن،بدا يفكر في ما عاشه في الاتنى عشر سنة التي عاشها ،لعن قدره قبر ان يتذكر وصايا فاطمة ،كانت تامن ان الشخص لا يعيش سوى ما كتب له فيه الخير ،فتح الباب و طلب منه الطبيب الدخول و الاطمئنان على اخته ،توجه بلهفة نحوها ،جلس ممسكا يديها و هي لا زالت تنظر في الفراغ،عانقها و هو يتسائل ان كانت تلك اخته ام جسدها فقط ،يتسائل هل فقد الدنيا لتوه ؟هل تلك الدموع التي تحرقه لن تستسلم ،نطقت سماح بكلمات تكاد تسمع

-اكتب علينا الاذى

-لم يرد سند سوى بعناق جعل صوت قلبيهما يمتزج ،اكملت سماح و هي تتمتم:اتعلم ان اقترب مرة اخرى فسانهي حياته ،قفزت و هي تحاول الوقوف دون جدوى و تكمل كلامها:اين عائشة هل استيقظت

لم يستطع سند الرد سوى بدموع لم ترد التوقف عن الهطول ،لتواني ظنت سماح انها فقدت عائشة ايضا ،صرخت في وجهه و هي تهرب من رؤية دموعه باحتة عن شخص لينقذها من افكارها ، سالوا الطبيب الذي اخبرهم انها ستحتاج بعض العناية لكنها ستكون بخير ،جسديا ،لكنها لن تنسى يوما ، اما نديم فقد ضمضت جراحه التي لم يهتم لها ،ما هي الا ندوب ربما لن يتذكرها بعد فترة ،خرجت سماح و هي تكاد تموت جوعا و بجانبها نديم و سند ،لمحت صاحب الحلويات في الجانب الاخر من الشارع ،نظرت لهم و هي تتالم جوعا ،وضعت راسها على كتف نديم الذي وضع يده في جيبها ،ليجد بعض القطع النقدية،قبل جبين اخته و طلب منها ان تنهض لتاخد ما تريد ،نهضت بفرحة و في طريقها ،سقطت ارضا متالمة ،توجه نديم و هو يكاد يجن بسبب دموعها التي راها ،لم تكن تبكي بسبب الم جرحها ،لكنها كانت متألمة و متعبة بدات تبكي و هي تتذكر ما حدت لها ،تذكرت كل اذية الحياة لها ،ظن نديم انها تالمت ،ازال ضامادات يديه محاولا استخدامهم في تضميد جرحها الذي لم يكن ليقارن بالتقب الذي احدت في يديه ،رفضت سماح لكنه لم يهتم لرفضها ،اجلسها فوق عتبة المشفى و ذهب ليشتري لها الحلوى بالقطع القليلة التي يملك ،عاد ليجد سند يحاول اضحاكها ،ابتسم بالم جلس بالقرب منهما و قدم لسماح ما اشترى ،حاول سند تغيير مشاعرهم ،حاول تذكيرهم ببعض

الاحداث السعيدة و في وسط حديتهم نطق نديم الذي كان غائب العقل طوال الوقت :"من كان هذا الشخص" لم يكن احد يعلم لكن نديم لم يكن لينسى الامر ،عاد ليتسائل اسيذهبون للميتم ام سيرمون للشارع ،توجه نحو المنزل الذي اواهم محاولا معرفة هوية الشخص الذي افقده سعادته ،تاركا اخوته منتظرين استيقاظ عائشة_

الم النضوج.

لم ت**كن سماح ضعيفة يوما ،كان اخوتها بمتابة قوتها ،لم يكن العالم ليستطيع اذيتها يوما ،ربما ظن الجميع انها من كانت تحميهم من الضياع لكنهم كانوا الحماية** التي احتاجتها ،كانوا سندها ،كانوا سعادتها ،وضعت رأسها على الوسادة و باعين تلك الطفلة التي اضطرت للمس دماء اختها ،نظرت في الفراغ و هي تقسم على عدم ترك الامر يحدث مرة اخرى ،دخل نديم ليجدها مطأطأة الراس ،كمن يحمل الدنيا فوق كتفيه و يدعي كونها ريشة

،ما ان رأته تحولت دموعها لابتسامة تقنع الكابة نفسها ان العالم ليس بهذا السوء،لكن بريق عينيها لن يخفى على من مسح دموعها لسنين عديدة،نطق بحروف متقطعة :س..ما..ح

رفعت عينيها كسؤال عن سبب نبرته

سألها بنبرة تحاول الهدوء:هل كنت تبكين؟مذا حصل؟

لا يمكن لاي انسان انكار قوة سماح ،لكن دموعها كانت تتمرد من حين لاخر ،رغبت لدقائق ان تخبره ،لكن ما الهدف؟عالقة بين طفولة لم تُعش و نضوج متعب ،نظراتها لنديم كانت تحاول اخباره ان البريق في عينيها هو بريق السعادة لكن قلبه لن يصدقها حتى لو صدقها عيناه،و لمرة اخرى اتبتت له الحياة ان النضج مكلف لم يملكوا يوما رفاهية الاختيار،لكن و حتى عندما كان كل شيء يدعو للبكاء،كان الضحك حليفهم، و كبقية الايام كان حليفهم هذه المرة ايضا ،عانقها نديم ،لم يكونا سوى مجرد طفلين يريدان حماية بعضهما من اي شي قادم ، وضعها بهدوء في مكانها بعد ان غفت بعد جلسة

بكاء و رمى عليها غطاء ليحميها من البرد ،تم توجه باحتا عن عائشة التي ترددت في اخباره لكنها في النهاية افرغت كل الكلمات التي كانت تحاول الاختباء في جوفها ،غلى دمه بعد ان عرف ان والدها لم يتعض بعد لم يرد ان يتسرع ،فتجارب الحياة علمته ان اسوء شعور هو الندم ،طلب من عائشة ان تهدأ و تحاول تهدئة اختها و ان تنسى الموضوع ،واضعا يديها بين يديه و هو يردد "لن يؤدي احد اخوتي ما دمت اتنفس" ،كان هذا بمتابة دليل ان حب الاخوة هو من انقى المشاعر .

لم تكن سارة بالنسبة لهم مجرد طفلة ،كانت هم جميعا في جسد طفلة ،حاولوا حمايتها بكل ما يملكون ،استطاعوا ان يوفروا لها بيتا و طعاما و ان يرسلوها للدراسة في احسن المدارس متجاهلين فقرهم ،كانت طفلة تلقت جميع اشكال الحب و الحنان من اطفال بدورهم لم يسمعوا بهذه المشاعر يوما .

خرج نديم و هو يحاول الوصول لحل لا يعود عليهم بالاذية ،تاركا عائشة تتذكر كل ما عاشته من

قبل ،تذكرت الظلام الذي حاولت دفنه داخلها لسنين ،لم تعلم ليومها هذا كيف و صل الامر لتلك النقطة ،هل كان الامر يستحق ازهاق روح ،او بالاحرى روحين غير ان واحدة لم تترك جسدها ،نظرت نحو المرآة امامها ،لم ترى نفسها،رات طفلة بملابس ملطخة بالدماء و دموع منهمرة على خديها،لتواني تراءى لها ان روحها تحوم حولها ،تطلب النجدة ،لكن بصوت اقرب لمكتوم تساءلت لتواني لم لم ينقذهم اخد تلك الليلة ،لم كتب عليهم هذا الاذى ،و هي تسمع طيفها يكرر "لم نكن سوى اطفال ،قتلوا طفولتنا قبل ان تبدأ" كان الامر سهلا على الطبيب الذي اخبرها ان الزمن سينسيها و ان كل شيء سيكون بخير ،و على تلك الجارة التي نظرت لها بشفقة و هي توشوش للاخرى "المسكينة " ،ارادت في ذاك اليوم ان تصرخ في وجههم جميعا ،لست مسكينة ارادت احراقهم جميعا لتجاهل صرخاتها ،لعل النار التي داخلها تهدأ،لكن ما لليد من حيلة ،كل ما كانت تحاول فعله هو حماية سارة ،كانت تجد نفسها تبتسم وسط ابتسامات اختها ،ربما الزمن لم ينسها ،لكن الحب فعل،كانت سارة هدية العالم لها

كتعويض لمعاناتها،شعرت بالم في رأسها ،و صرخت ،جاء الجميع نحوها ،بدات تتمتم بكلمات بالكاد تسمع ،تس..ن..ي...م ،شعرت سماح بالم داخل قلبها ،تذكرت الطرف الذي تركهم ،ما الذي ستكون تفعله الان ،جميعهم يفتقدونها ، عانق نديم عائشة مقبلا رأسها و هو يذكرها ان العالم لن يؤذيها بعد اليوم ،طلبت منهم الخروج غيرت ملابسها و تجاوزت الباب تتمنى معجزة تعيد لها اختها ،وقفت امام منزل الطفلة التي لا طالما حلموا معا ،تمردت دمعة على خدها ،احست بالباب يفتح ،اختبأت و هي تحس بقلبها يكاد يسقط بين يديها ،لمحت طفلتها ،اختها التي احبتها اكتر منهم جميعا ،اكتر من سماح و نديم ،اكتر حتى من سند ،رددت كرامتها "اللعنة على قلبك و مشاعرك" و سمع صوت تحطم قلبها ،ابتسمت بالم عندما رأت سعادتها مع غيرها ،عادت للمنزل وجدت سارة تتنتظرها عانقت ابنتها و انهارت ،تذكرت ان حياتها لن تعود يوما ما كما كانت ،فتحت درجا صغيرا بالقرب من سريرها ،لمحت ادويتها ،لمحت ما اخفته عن الجميع ربما حتى نفسها احيانا،وضعت بعضهم في فمها مما

انساها العالم،دخل نديم ليجدها مرمية غائبة العقل ،جسد فقط ،ربما هو الوحيد الذي كان يحميهم جميعا ،جلست عائشة و هي تدندن و تحرك رأسها و تبتسم بغرابة ،حمل سارة و اخدها لغرفته ،عاد لعائشة وجدها واضعة يدها على فمها ،تمنى ان لا يكون ما في باله،حاول عدم اخافتها ،ناداها بصوت خافت ،نظرت له بخوف ،جلس امامها و هو يحاول حمايتها من نفسها،كلامه و نصائحه لن تفيد ، تمتمت كلمات اظلمت الحياة بين عيني نديم

_هل فعلا اذيتها؟كنت اعلم اني سيئة ،حتى والدي بم يحبني،لكن لم تركتني ،كانت اختي

-تعلمين انها احبتك

ضحكت باعلى صوتها ،كانه القى نكتة و اكملت :نديييييم اخي ،اتعلم لم اكرها اقسم لك اني لم اكرها ، اعدها لي رجاء ،اعد لي اختي

كانت هناك نار في قلب نديم لن تنطفأ يوما ،تحسر على ما وصلت له هذه الطفلة امامه،عانقها ،كان الامر كإشارة لتطلق دموعها ،و كلماتها المخدّرة

،كانت تتالم ،كانت تريد تلك الطفلة التي اعطتها قلبها

-نديم ،اتعلم اني احببتها اكتر منك ،انت حياتي اقسم لك انكم عالمي ،لكنها كانت دمي ،كانت نفسي ،

شعر نديم بالغيرة ،كره الوضع لكن ما الحل

عانقها اكتر ليهدأها و اكملت هي

-لربما انا اذيتها ،لم تكن لتتركني حياتي ،اتعلم ان عادت ساعانقها و اختبأ في حضنها

نظر لها نديم نظرة عتاب و تمتم : الم نحمك بما يكفي

لم تعلم بم تجيب بل نهضت نحو المرحاض لتخرج قلبها دائبا ،كان الدم الذي يقطر من فمها ،اشارة لنديم لارتكاب عملية قتل ،كره قلب عائشة ،كره حبها ،ادخلها لتنام و حاول تهدأتها الى ان غفت

في اليوم التالي ،استيقظت بالم رهيب في رأسها ،بحتت عن سارة ،و عندما لا حظت غيابها بدات تتذكر ليلة الامس شعرت بعاصفة وسط افكارها"احببتها اكتر منك" ربما داك كان واقعا،لكن

منو هي لتأذيه بهذه الطريقة نادته و هي تحاول ايجاد طريقة للاعتذار ،عانقته ما ان ظهر امامها ،و قبل ان تنطق باي كلمة ،اطلق كلامه:اعلم ،اقسم اني كنت اعلم انك احبيتها اكتر منا جميعا ،حبيبتي ستعود ،سيظهر ان الامر سوء فهم لا اكتر ،كانت تكاد تسمع قلبه يكسر،لكن لا احد يتحكم في قلبه و مشاعره ،عانقته كانها تحاول اشعاره بحبها ،قبلها و هو يقول ،ستعود يا اختي

اذبتم قلبى.

جميعهم مر شيئ في حياتهم اطفأ قلوبهم ،لكن عائشة كانت تعيش سعادة غريبة مع تسنيم ،لدرجة انها كانت لتموت للحفاظ عليها ، كانت اطيب فتاة عرفتها عائشة ،كانت صداقتهما صافية ،كان ما بينهما يتجاوز الحب ،كان الجميع يشعر بالغيرة من ما تقدمه عائشة لتسنيم ،الم الاخوة اصعب من كل شيء اخر،جلست عائشة وسط غرفتها بعد ان توجه كل لعمله ،و بدأت تتذكر احلامها ،حياتها ،سمعت صوت ضحكها ،سمعت بكائها و شكواها ،كانت تبحث عن امر لا تتواجد فيه تسنيم،الهذه الدرجة

احبتها ،لم يكن الامر غريبا فكلاهما قدم لبعضهما الدنيا،دخلت مرة اخرى في دوامة التفكير ،تريد معرفة كيف اذتها ،لم حصل كل هذا،بدأت تهلوس مرة اخرى ،ترى نفسها تلك الطفلة التي اخدت منها الدنيا و لم ترد سوى معرفة السبب ،عانقت و سادتها و انكمشت على نفسها تنادي مشاعرها التي ذهبت مع طفلتها ، صرخت باعلى صوتها حتى احست بقلبها يكاد يخرج من حلقها ،و خارت قواها كانت تتمنى ان تحكي لاختها ما فعله والدها ،كانتت تتمنى ان تحكي لها لم هي تتالم ،لكنها ذهبت ،لم تعد تملك القوة حتى لتتحرك ،نظرت للسقف الذي تحول فجأة لشاشة سينما يعرض صورهما ،كانت تعلم ان تسنيم لن تترك احد ياذيها ،كانت لتبعد عنها كل الاذى المتواجد في هذا العالم ،ابتسمت و غاصت وسط احلامها ،احلامهما،منزلهما الصغير وقطتهما ،منزل دافئ يخبأهم ،تجتمعان فيه و تنشران ضحكهما لحد الصباح،الذكريات مؤلمة حقا

مر ذاك اليوم كما مر الكتير من غيره،كان نديم يحاول معرفة كيف يحمي سارة من ما ينوي فعله ما يفترض ان يكون مصدر امنها،و في صباح احدى الايام ،جاءه اتصال جعله يعيد التفكير في حياته

_مرحبا

_مرحبا،من معي؟

_هل انت نديم ،اخ سارة و عائشة صحيح؟

شعر برعشة سرت في جسمه عند سماع اسماء اخوته في هذا الحوار

_اجل انا هو

اجابه الرجل المتواجد في الطرف الاخر رغم التردد الظاهر في صوته

_حسنا،كنت مسجونا مع والدهما ،،لقد خرج اليوم ،و هو لا ينوي النسيان ،سيفعل كل شيء لاذيتكم ،انتبه لهم،و انتبه لنفسك

اغلق الخط بعدها ،جلس نديم خائر القوى و مشاعر الغضب بالكاد يستطيع التحكم فيها ،صرخ مناديا عائشة التي لم تجب ،بحث عن سارة و التي تذكر

في اللحظات الاخيرة انها كانت تلعب في الخارج ،خرج باحتا عنها ،ليجد ما كان يخشاه لا اتر لها ،اختفت ،و ربما روحه غادرته لتواني حينها ،اتصل بسند اخبره بالامر و هو بالكاد يستطيع التنفس او الكلام،و لم يكن سند اقل غضبا منه ،توجه نديم باحتا عنها بين الازقة متمنيا ان تكون قد اضاعت الطريق اتناء اللعب،اما سند فتوجه نحو السجن محاولا معرفة معلومات اكتر

اتناء بحت نديم ،سمع حوارا في احدة الازقة

_سمعتني ياحبيبتي ،انهم اليسوا اخوتك حقا،سنلتقي هنا كل يوم ،و ساحضر لك الحلوى ،لكن لا تخبريهم اننا التقينا.

سمع الخطوات تبتعد تسلل ورائهم محاولا فهم ما يحصل الى ان وجد نفسه امام منزله و سارة معه

لم لم يأخدها؟ما الذي يحاول فعله ؟الن تنتهي هذه المعانات يوما؟

حاول السيطرة على غضبه ،و التفكير في الحل المناسب ،جاء سند بعدها بدقائق ،جلسوا حول

الطاولة و ابعدوا سارة عنهم،يحاولون فهم ما يحصل،وجدوا سماح في المنزل

كانت قلوبهم جميعا تتالم بسبب ما كان يمكن ان يحدث ، ابتعدت عائشة تبحث عن سارة ،

تسنيم ،اين انت يا اختي؟

صرخت سماح بدورها:سااااارة ،اختك تناديك

نظر نديم لعائشة بالم ،مهما حاولوا الانكار القلوب لا تنسى ،دخلت عائشة لغرفتها محاولة اطفاء عقلها و افكارها التي اصبحت تأبى اللانطفاء ،رمت تلك الحبات التي تسللت لتمتزج مع دمائها و تهدئها ،رغم ان الهدوء لم يكن يوما ليكون حليفها

هل سأنسى؟

في اليوم الاول خدرت اطرافي،لم اتألم ،لم ابك ،لم اتعرض لاي اذى من الفراق،لم احس ،لكني لم انم ايضا ،ربما كانت المرة الاولى التي الذي بها جسدي

بتلك الطريقة ،لكني لم اشعر بشيء،جلست بين احضان الشارع طوال الليل ،اتأمل السماء و الشوارع ،او ربما كنت اتأمل روحي من الداخل متظاهرة انها لا تنكسر،تواجد داخلي كلام كتير لم اقله،شعرت بان العالم اطلقني من بين يديه لاواجه تلك الوحدة و ذاك الالم ،لكني لم ابك

في اليوم التاني،رميت اكبر عدد ممكن من المهدئات داخل جسدي ،لعلها تطفئ ما سمي بالمشاعر،تسللت دموع فوق خدي راغبة الخروج و احراق كل ما قد يظهر امامها،استشعرت الوضع الان ،قلبي يألمني ،المهدئات لا تأثر بي بعد الان ،ادماني يزداد ،كل قطرة سقطت داخل جسدي لتطفأ هذه النار لم تزدها سوى اشتعالا

بعد اسبوع ،دخلت لحسابك لاطمأن انك بخير ،ربما رأيت شيءا مختبئا بين عينيك ،اتلك دموع تتمرد على الالم و تابى النزول ،ام انها فقط انعكاس مشاعري،ربما علي فقط ان اهدأ ،كل شيء تحت السيطرة، لم افكر كتيرا ،رميت نظري حول المنزل ،منزل فارغ كل و مشاغله ،توجهت نحو زجاجتي و

صببت اخر القطرات منها داخل جسدي الذي اراد الصراخ و اخباري انه سينطفئ لكن ناري لن تفعل،لكني ابيت الاستماع،بدأت اهلوس تانية ،تمنيت لو انها لم تكن مجرد خيالات ،اصبحت الجدران ترميني لبعضها البعض ،تركتها لتتخبط بينها و توجهت للخارج ، لتواني تمنيت لو بقيت بين احضان غرفتي ،لكن في التواني بعدها رفع عقلي،اتسائل لما يتركني الجميع،انا بهذا السوء،ربما هذه انا ادفع تمن اذيتي للبقية ،مهلا لم انا في الارض متى وصلت هنا لم اشعر بهذا الالم ،لم يرحمني

الشارع ايضا،امتلئت عيناي بالدموع ،و بكيت ،كما لم ابك يوما ،ربما لم اكن ابك ،ربما تلك مشاعري تترك جسدي فقط ،او هذا ما حاول اقناع نفسي به،احسست بصدري يخرج بين يدي ،وضعت يدي على فمي لازيلها ممتلئة بالدماء ،كما في كل مرة بعدها كان يستسلم جسدي،و يذيب قلبي ليخبرني باستسلامه ،لم يكن ذاك دما ،كان قلبي ذائبا

بعد شهر ،لا زلت مبعترة ،بين الشوارع و افكاري،لا زلت احاول استيعاب اني تركت للدنيا لاواجه الامها وحدي،حقيقة لم اكن وحدي،كانوا جميعا حولي ،لكني لم ارغب بهم ،احتجتها جانبي ،مهما كلف الامر ،شعرت بنغزات داخل قلبي،لا زلت انتظر تلك الرسالة التي توقظني من كابوسي،لم لم ترسل شيء١، لم استوعب ما يحصل بعدا ،او ربما انا فقط ابالغ ،ليس شيء١ مهما هو فقط قلبي كسر مرة اخرى ،ليست مرته الاولى على اي حال

في الشهر التاني ،كنت قد استوعبت وحدتي لكني لا زلت ارغب بعودتك ،توقفت عن البكاء كالاطفال ،ربما استوعبت ،لا زلت ابكي بين الحين و الاخر ،لكن عيناي تعبت ،و قلبي و جسدي و رئتاي ،و انا تعبت،الجروح في جسدي التي سببتها لنفسي في احدى الليالي تأذيني ،احاول تخبأتها عن اخوتي،تقطر دما احيانا و انا جالسة وسطهم ،ابكي الما محاولة النوم ليلا،لكني لا بأس ،اصبحت الان اجد سببا لابكي دون ان اشعر بالضعف،القي اللوم

على جروحي عندما تنهمر دموعي ،لن الوم الجروح داخلي ،لا بأس سانسى

في الشهر التالت ،لم ابك في الاسبوع الاول ،ظننت انني تجاوزت ،صنعت صداقات كتيرة يحاولون جعي انسى ،اقنعتهم اني نسيت و اقنعت نفسي و عقلي ،لكن من يقنع قلبي؟،حضنت احزاني و خساراتي و في تلك الليلة ربما دفنت قلبي منتظرة اعادة احيائه او ربما دفني.

من مذكرات عائشة

بين طيات الارهاق.

في منزل صغير و بسيط في تلك الازقة المنسية،منزل يتالف من غرفة واحدة تكاد لا تكفي لاستيعاب حاجيات تلك العائلة ،ذاك الاب السكير ،و تلك الام التي تقاتل العالم لحماية ابنها ، اربع جدران مهترئة و سقف متهالك ،سمع صوت صراخ طفل متألم و هو يتعتر بين ملابسه مترددا في الدخول لبيته ،قاطع صوته صراخ غاضب

منذ متى الرجال يبكون ،اصمت او جد مكانا اخر لجنونك-

كان الاب الذي استيقظ لتوه يتخبط بين الجدران محاولا ايجاد المال ،حمل الفتى المه و توجه نحو مكان عمل امه منتظرا اياها ،لم يكن الامر بالسهل ،فسبب صراخه قبلا كان جرحا في قدمه الذي اعاق سيره ،و الذي تكبدت الدماء عليه و اجتمع بعض الدباب على الجرح بسبب الحرارة ،هذه الاخيرة التي سببت له الما سيئا في رأسه ،اراد الدخول للمنزل الذي تعمل فيه امه لكنه خشي من سيدة المنزل التي كانت ترفض وجوده ،جلس بالقرب من المنزل يحاول عدم فقدان الوعي من الجوع و الالم ،بعد فترة خرجت امه ،لتواني نسي كل شيء حوله و توجه نحوها جريا ،قفز بين احضانها و هو يقبلها و يعبر عن اشتياقه،حملت طفلها و توجهت نحو اقرب صيدلية لتحاول علاج جرحه ،و بعد دقائق كانا في طريقهما نحو بيتهما،نطقت الام بهدوء

ندیم ،اانت بخير الان؟_

حرك الطفل رأسه كدليل على الموافقة على ان حاله افضل،تبادلا اطراف الحديت ،و ما ان وصلا للبيت رفض ندیم الدخول ،حاولت امه اقناعه لكنه قرر البقاء قليلا مع ابناء الحي قبل الدخول .

تقدمت الام تحو المنزل ،خبأت بعض المال ،و تركت بعضه في يديها ،دخلت و وضعت ما ابقت في يديها على طاولة صغيرة بالقرب من الباب،نهض الاب الذي لم يحدتها سوى بكلمات تمتمها و لم يُسمع منها شيء،حمل المال الذي و

ضعته و خرج متوجها لمكان مجهول ،ما ان تجاوز الحي ،دخل نديم جريا للبيت الذي سرعان ما سمعت ضحكاتهم متجاهلين اقراحهم.

كانت هذه حياتهم ،لكن وجود بعضهم البعض كان بمتابة بريق و سط ظلام الحياة،مرت الايام هكذا ،وسط بطش الاب وحنان الام ،و في احدى الياليي عانق نديم امه و استغرقا في نومهما كالعادة ،الى ان احدهما فقط من استيقظ ليحارب الحياة ،جاء الاب مخمورا في الصباح التالي ليجد زوجته لم تترك البيت للعمل بعد على غير عادتها ،قام بركلها في محاولة يائسة لايقاظها ،تلك المحاولة التي كانت بهدف ايقاظها،لم تزد الامر سوى سوءا،فلا يمكن لاي تحمل ذلك الالم الجسدي ،الا ان كانت روحه قد تركت جسده،لم يهتم السكير بحال زوجته على عكس الطفل الذي كان ينتظر استجابة امه و التي لم يتلقها بعد ذاك اليوم،ارتمى بين احضان جتة والدته،و انهار باكيا ،يترجاها،يريد رؤية زرقة عينيها التي كانت تسعده ببريقها،لكنه لم يتلقى اي حركة ،خرج محاولا ايجاد المساعدة ،لم يسمع في ذلك اليوم سوى**"ان لله و ان اليه راجعون"**

مرت جنازة امه و اختفى والده بعدها ،كان يتسائل لماذا ذهبت ،الم تكن تحبه؟،لم يتقبل عقل ذلك الطفل ذهاب امه،كان يظن ان من يحب لا يبتعدو،لكنه اخطأ،اكتشف في ذلك اليوم ان ليس كل من احبك سيدوم،لا شيء دائم،لا السعادة و لا الالم،توجه في احدى الياليي لقبر امه ليخبرها

عن قسوة العالم،عن اذية الشارع،عن الوحدة ،عن طفولته التي سلبت،عن الام التي قبلت جرح ابنها،و عن القط الذي لم يعد يفارقه،و اتناء عودته،لمح والده،يترنح بين الشوارع،اراد ان يحس بانه يملك سندا ،توجه نحوه محاولا التغلب على خوفه،لكنه لم يتلقى سوى السب و الشتم الذي زعزع طفولته،دفعه ملقيا عليه اللوم،اخبره انه هو سبب سكره و انه لولا تشبت امه بحياة ابنها ،لما اضطر للزواج بها،ردد في اذنيه انه ليس سوى ابن الحرام،و انه لن يحبه احد،كان نديم لا يدري ايهم اقسى ،كلمات والده او الدماء التي تتسرب من جسده،و في تلك الليلة الباردة سقط مغميا عليه متمنيا لحاق امه،لم تعد له القدرة لتحمل العالم،عالم لم يقدم له سوى الاذى،اجتمعت عليه الكلاب بعد فترة ،لم يهتم،تمنى ان تزهق روحه فقط،شعر بانياب احدهم تخترق جلده،لم يملك الجهد للصراخ حتى،اي جهد هذا،ارتمى جسده الصغير بين احضان الشارع،تمتم له جسده"**انا متعب،لن اتحمل اكتر**"،لكن روحه صرخت"**لن اذهب الان ،ليس قبل ان اترك شيءا ليتذكرني الجميع**"

استيقظ في اليوم التالي يحاول فهم ما يحدث،وجد نفسه وسط مجزرة ليكتشف بعد فترة انه وسط مستشفى عام،وضع يده على الجروح ،مستشعرا الخياطة التي ذكرته بخياطة امه لملابسه المرقعة ،دخلت امرأة بابتسامة متعبة ،لكن بطريقة ما تبت السعادة داخل كل من يراها،سألته عن حاله،اجابها بكلمات متقطعة"**انا حي**"،ساعدته لينهض و توجها نحو بيتها

الدافئ ،ما ان دخل لمح طفلتين تتشجران عن من شعرها اجمل ،و طفل يتجاوزه ببضع سنوات فقط قفز من خلفه واضعا يديه على كتفي نديم و هو يضحك و يخبره **"مرحبا بك في العائلة"**

لا زلنا نحاول

توجهت سماح لغرفة سند,دخلت بهدوء وجدته يحاول النوم كما اعتاد دائما،لكن حركاتها عند الباب ايقظته،قفز جالسا ،راسما ابتسامة،لمح التعب الظاهر في عينيها،فتح يديه كطلب او اشارة لتختبأ من العالم كما اعتادت ان تفعل و هي طفل،عانقته و هي تتمنى ان لا تخسر ذاء الامان يوما ،سألته بكلمات بريئة:"ما ذنبنا في كل هذا؟"،مرر سند يده على شعرها المنسدل فوق كتفيها :"اصبحت تشبيهينها"

اجل لاحظت هذا ايضا_

ابتسم سند و هو يحرك رأسه و شعيراته القليلة:"اجل لكن شعري اجمل"،ضحكت سماح و وضعت المراة بالقرب من وجهه،"اي شعر هذا"،حرك رأسه مرة اخرى كاتبات لكلامه:"انظري اسبق و رايت متل هذا الشعر"،ضحكت سماح اكتر،كان كلاهما يرغبان في ايجاد سبب للضحك،و لا يوجد مصدر للسعادة افضل من الاخوة،مرت لحظة صمت

قبل ان ينطق سند:"طفلتي"لم تجبه سماح سوى بصوت مكتوم لم يُسمع منه شيء،اكمل كلامه "اتريدين الخروج للمشي قليلا"،رمت ببصرها نحو الساعة يمينها ،لمحت انها تجاوزت التانية بعد منتصف الليل،اجابته بنبرة استغراب:"الان؟!"،هز رأسه كتأكيد لاقتراحه و اكمل:"هيا سانتظرك في الخارج"،لم تستغرق وقتا طويلا حتى كانت قد تبعته،كان هواء الليل بمتابة مهدأ للحرب داخلهم،كل نسمة تمر تطفأ نارهم،الناس؟،المال؟،العالم؟،لا شيء يهم في لحظات كهذه،كان هدوء تلك الليلة كدعوة لافكارهم لان تهدا و تحاول ترتيب نفسها،شعر سند ببعض البرد و قرر العودة ،للكن سماح رفضت بل و قررت الاستقرار على الشاطئ ،قدمت لاخيها وشاحا حملته اتناء خروجها،جلست سماح في ترك الرمال واضعة رأسها على كتف سند و تمتمت باسمه،قبل جبينها مهدئا مشاعرها،اكملت"اتعلم ،لا احس بغيابهما كتيرا رغم اني افتقدهما"،تنهدت وقالت "شكرا لانك لم تتركني"،عانقها محافظا على صمته تاركا السبيل لكلماتها لتتسرب لعلها تنسيها المها،كان نصف كلماتها بالكاد ينطق لكنها اكملت:"**اتعلم يا اخي ،لقد كنت دائما سندي يا سند،لم تخطأ أمي في تسميتك ،لم نكن اغنياء،لكن لا اذكر اني نمت جائعة،او ظهرت اقل من اصدقائي في المدرسة،لم اتأذى يوما و انت معي،احبك**"،كانت سماح دائما تحاول دفن مشاعرها،لم تقل يوما احبك لكنها اصبحت تكررها كتيرا منذ دخول سارة لحياتهم،طوال هذا الوقت لم ينطق سند

بكلمة،كانت سماح. التي غيرت الموضوع لكنها لم تصمت حتى اشرقت الشمس،حملها سندها بعد ان غفت على كتفه،دخل المنزل متوجها لغرفتها،و ضعها متأملا ملامحها،ابتسم و هو يلاحظ الشبه بينه و بين امه،كيف يتركها و هي عائلته الوحيدة،لم يكن ليبتعد عنها يومت،كان ليحميها بكل ما يملك،لمح صورة والديه تحت وسادتها،اختلطت مشاعره و لتواني نهضت الحرب داخله،قبل طفلته و همس"احبك ايضا يا طفلتي،اعدك باني ساكون عائلتك،لن تحسي يوما بالوحدة و لن يغيب عنك الامان يوما ما دمت حيا"

الرحلة الصامتة

"سند"

_نعم يا ابي؟؟

_ سنعود للبيت الان يا صغيري،ايمكنك ان تخبرني ماذا سنقول لسماح تانية؟

_ امي ذهبت في رحلة عمل و ستعود قريبا ،و انها اخبرتني انها تحبها

_ تماما يا صغيري ،لا يجب ان تعرف اختك عن ما حصل،ستحمي اختك من العالم صحيح؟

_ لن اتركها يوما ،اعدك

_ اعرف انك ستحميها ،لا تملكان سوى بعضكما البعض

_ ماذا عنك؟

_ لا تنسى وعدك يا صغيري،كن قويا يا بني

_ ابي....لما ذهبت؟

_ امك تحبكما ،هيا لقد وصلنا ،ادخل ساعود بعد لحظات

تامل سند والده و هو يغادر بسيارته ،تعانقت العواطف و تسارعت الكلمات داخل حلقه،استدار بسرعة عندما سمع صوت بكاء اخته ،تسارعت دقات قلبه و هو يجري نحوها معانقا اياها :"سماح طفلتي ماذا حدت؟"

لم تجبه سوى برفع كم يدها لتظهر اتار الضرب على معصمها ،علم انها لا بد و تشاجرت مع شخص من عائلة والدهما و التي بالكاد كان يسمح بتسميتها "عائلة" ،كانت هذه كلمة كبيرة و بعيدة كل البعد عن ما كانوا ،عانق اخته و جلسا خارج البيت في انتظار والدهما ،خيم الليل و لم يعد احد ،قرر ان يدخل للبحت عن هاتف ليتصل بوالده ،ما ان وضع اولى خطواته في ذاك البيت ،سمع صوت عمه :"والدكما توفي ،ادخل اختك و اخبرها ، ستذهبان للميتم بعد الجنازة "

عاد ليعانق اخته و هو يخبرها:"سماح حبيبتي ،امي و ابي ذهبا لمكان جميل ،سنبتعد من هنا و عندما يحين الوقت سيجداننا، لم تفهم سماح شيءا ان ذاك ،اكن كل ما كانت تعرفه هو انها تتق في اخيها ،مدت يديها له ،و توجها نحو الشارع الذي ظن سند انه سيكون ارحم لهما .